



### الأزهر

الأزهر — كما يجب أن نعرفه — إن هو إلا تاريخ مصري عربي إسلامي كامل متتابع قد امتد على مدار جثة التاريخ ألف سنة يمدد فيه ويتجدد به ، ويبش بعيشه هذا في التاريخ كالدلتا التي لا تحب أن تستفيض بمادته لينشئ القوة في روح الجيوش المرابط وأعصابه وأفكاره وأعماله الحميدة . وهذا التاريخ المجيب الذي لا يزال حيا في هذه الأرض ، هو كالتاريخ الإسلامي والعربي كله مجهول متروك لم تنفض عنه الحياة العربية الجديدة غبار السنين المتقدمة والأجيال المتطاولة التي تماقت عليه بالنسيان والإهمال والهجر . وإذا نظرنا إلى الأزهر على مقتضى هذه النظرة وبسبب من هذا الرأي — علمنا أنه كهذا التاريخ الإسلامي قد تماوتت فيه القوة والضعف ، وحزت فيه سببا العلم وميدان الجهل ، وتقلت فيه النبوغ الفذ السامى والنبوغ الشاذ النازل : النبوغ السامى الذي ارتفع بروحانية الشعوب الإسلامية وأخرجها من سلطان الشهوات والجهالات ، فذات بذلك ساطعها على جزء عظيم من العالم ، والنبوغ النازل الذي هو سبب بروحانية هذه الشعوب إلى الجدل والفرقة والمذاهب والآراء الخاضعة لسلطان الشهوات العقلية الربضة ، فقلصت ظل هذا السلطان من هذا الجزء العظيم من العالم

والأزهر — كان — مجتمع القوى المختلفة التي عمت في إنشاء الحضارة الإسلامية والمريية التي عاشت في التاريخ الماضي وملأته بالألوان المختلفة من ميزات هذه الشعوب الإسلامية النبتانية ، المتباعدة في مطارح الأرض ما بين الصين إلى المغرب الأقصى . واستمر على ذلك مئات من السنين تلوها مئات ، وكذلك مهدت هذه السنين للشعب العربي المصري في هذا العصر — عصر النهضة الجديدة في الشرق — أن يكون هو قبلة الأمم العربية والإسلامية . وذلك لأن روح الشعب المصري ،

وثقافته الموروثة في تفكيره وأخلاقه وطباعه ، وحضارته القديمة التي تبرجت على ضفاف النيل — هذه كلها ليست إلا خلاصة هائلة مصفاة من أرواح الشعوب الإسلامية كلها وثقافتها وحضاراتها . وكان الأزهر هو المصدر الذي استمدت منه مصر هذا النقيض العظيم الجاري في أودية التاريخ المتقدم ، لأنه هو كان الجامعة الوحيدة في هذه الديار ، وكان أكبر جامعة وأعظمها في سائر الديار العربية الإسلامية . وبهذه الخلاصة التي اجتمعت في الأزهر ، ثم انتشرت منه في أرجاء مصر قديما وحديثا استمد للشعب المصري بطبيعته لأمر مقدور ، هو أن يكون زعيما للشرق في عصر النهضة الجديدة ، لأن كل شعب من الشعوب العربية والإسلامية يرى في هذا الشعب صورة من نفسه مكتملة بألوان أخرى من صور سائر الشعوب التي تمت إليه بسبب من الدين واللغة والحضارة والثقافة والفكر والمهم ونحن نأسف إذ نرى الناس إنما ينظرون إلى الأزهر نظرة محدودة ضيقة لا تراحم ولا تنفذ إلى حقيقة هذا التاريخ القائم في أرض مصر . فهم بمدونه مهملين دينيا ، ويكون تفسير كلمة الدين هنا — على غير الأصل الذي يعرف به معنى الدين في حقيقة الفكرة الإسلامية التي حتم الله بها النبوات والأديان على هذه الأرض . وهذا المعنى الجديد المعروف في زماننا لهذه الكلمة كلمة « الدين » ليس إسلاميا ، لأنه لا يلائم روح الإسلام في شيء ... كلا ، بل هو يهدم أعظم حقيقة حية أتى بها هذا الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وليجعل الذين آمنوا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ويجعلهم الوارثين . وهذه الحقيقة الحية الجميلة هي جعل كل عمل من أعمال الإنسان المسلم في الحياة عبادة تقربه إلى الله ... فليس للبيع والشراء ، أو تدير أمور الناس في الملك ، أو العلم والتعليم ، أو تربية الولد ، أو الخدمة التي يؤديها الرجل لمن يخدمه ... ليست كل هذه الأشياء الاجتماعية في منزلها من الدين الإسلامي : إلا كالصلاة والصدقة وسائر الأعمال التي يفهم بعض الناس الآن أنها هي الدين حسب . فالأزهر الإسلامي هو الذي تتمثل فيه حقيقة الإسلام — أو يجب أن تتمثل فيه هذه الحقيقة — ، وتاريخه الماضي كان صورة صحيحة للحياة الاجتماعية الإسلامية بكل ألوانها وأنواعها ، مع ما كان قد عرض فيها من العيوب التي أدركت الشعوب الإسلامية وجعلتها تنزل عن المرتبة الأولى التي كانت لها في تاريخ الحضارات السالفة

التي سبقت الحضارة الأوروبية لهذا العصر. فلما هجمت علينا الحضارة الحديثة من أوروبا بدوامها المختلفة ، وسياستها لتقوية التي تقلبت على كل سلطان في الشرق ، ثم اندست العوامل الغربية في الأمم الإسلامية ، وعملت الأيدي المدبرة عملها في تزييق الرابطة بين طبقات الشعب... رجع الأزهر إلى غيبه يستتر فيه ، رقع أهله عن صراع الحياة الجديدة صراعاً أراد منه لتظفر ، وكذلك سار الناس ناحية ، وسار الأزهر ناحية أخرى ، وكان ذلك أول انبلاء على الأزهر وعلى الشعب نفسه !

### اصلاح الأزهر

وقد أحس كثير من المصلحين من أهل الأزهر وغير أهله - ممن يعرفونه أصلاً كبيراً في الحياة المصرية والعربية والإسلامية - بما تقتضيه طبيعة الموقف الذي صار إليه في هذا العصر ، وبما توجيه حقيقة الدين الإسلامي ، فهبوا إلى إصلاحه والنظر في شأنه مرة بعد مرة . وكان العمل لذلك شاقاً كثير التعاقب غير قريب المنافذ ، فاضطرت الأيدي واختلفت الأغراض ، وسار هذا الزمن السريع بقوة واندفاع ، لا يملك معه المصلح الانطلاق في آثره على مثل سرعته واندفاعه . وكذلك لم يزل الأزهر الآن في منزلة غير المنزلة التي يوجبها له قيامه ألف سنة على التاريخ الفكري والثقافي والعمل في الحضارة الإسلامية

وقد كتب الأستاذ « الزيات » - في فائحة المدد الماضي من الرسالة - كلمته الجليلة « في سبيل الأزهر الجديد » يطالب الأزهر بالرجوع إلى النابع الأول للدين واللغة والأدب والعلم . وحب « الزيات » للأزهر ، ورغبته في المبادرة إلى علاج الأدواء التي تلبست به من أمراض الأجيال السابقة ، هي التي حملته على أن يكتب كلمته لتظفر مصر « بجمامتها الصحيحة التي تدخل المدنية الغربية في الإسلام ، وتجلو الحضارة لتشرقية للغرب ، وتصفي الدين والأدب من شوائب البدع والشبه والركاكه والمجعة » نعم إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لم يقصر في اجتهاده أن يجعل الأزهر مثابة للعلم الإسلامي الصحيح ، ولم يتخلف عن النصيحة له بما توحى به الرغبة للصادقة في تحريره من آصار قديمه عاقته عن بلوغ غايته التي يحق له أن يبلغها . فقد وضع الأستاذ الأكبر من عشر سنين نظامه الجديد للكليات في الأزهر وجعل أحد قسمي التخصص في هذه الكليات موقوفاً على مادة من مواد الشريعة أو اللغة أو الأدب

أو التفسير والحديث أو المنطق والفلسفة أو الأخلاق والتاريخ وعلم النفس وما إلى ذلك . وأمد هذه الكليات العالية - في دراستها لما خصصت له - بالكاتب الأصول المتمتدة في بابها ككتاب سيويه ، وخصائص ابن جني ، وسر صناعة الإعراب لابن جني ، وتصريف المازني ، وكتاب فيلسوف النحو رضي الدين الاسترأبدي صاحب شرح الشافية ، وشرح الكافية ، وها عمدة أصحاب النحو ، والتصريف . وكذا لك جُعلت كتب عبد القاهر - دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة - ، وكتاب للصناعتين لأبي هلال ، وأدب الكاتب والكامل والأشلى وغير هذه من أصول الأدب واللغة هي مادة الدراسة في هذه الكليات وقد قام على التدريس في هذه الكليات جماعة من خيرة من أئمة الأزهر فاستقلوا بتدريس هذه الكتب الجليلة خيرة استقلال ، فترجو أن يظهر الأزهر الجديد بمله الجديد الذي استمدته من الكتب الأصول ، وأن يمتد فيها يستقبل من أيام نهضته كل الأصول الأولى في تدريس الفنون المختلفة التي يقوم بينها بين أبنائه ومريديه وطابته . هذا وترجو أن تحقق روح الأزهر - التي تقص بالمشعب المصري وسائر الشعوب الإسلامية - معنى الإسلام الصحيح الذي يطالب المصلحين بالسيادة والقوة والنبلة ، ولا يكون ذلك إلا يوم يتصل الأزهر اتصالاً تاماً بجميع ألوان الثقافات العالمية ، ليوجد للشعب المصري والعربي والإسلامي ثقافة تضارع كل هذه الثقافات ، مبرأة من عيوبها التي فرضتها عليها البيئة غير الإسلامية التي نشأت تحت ظلها وفي رعايتها وأما أكتفي بهذا القدر من القول ، وسأعود قريباً لأبدي بعض الرأي في أنواع من الإصلاح تراد الأزهر وغير الأزهر ، أرجو أن تنال بعض الرعاية ممن يتولون شأن هذا الإصلاح

### المجمع المصري للثقافة العلمية

بدأت في الأسبوع الماضي جلسات المؤتمر السنوي للمجمع المصري للثقافة العلمية برئاسة حضرة صاحب السعادة حافظ عفيفي باشا ، وهذا هو المؤتمر الحادي عشر لهذا المجمع العلمي للصامت الذي يجاهد في إنشاء الثقافة العلمية العربية في الشرق بما يسمه جهده وماله : والمجمع العلمي هو أهم ما يحتاج إليه الشعب العربي الذي ابتعد به الزمن عن متابعة النهضة العلمية المختلفة التي تجددت بالحضارة الأوروبية الحديثة . وقيام هذا المجمع بنشر الثقافة العلمية - في حدود طاقته - قد أوجد للأمة العربية ذخيرة عظيمة

هذا وقد بدأ الجمع مؤتمره لهذه السنة بالمحاضرة التي ألقاها الدكتور حافظ عفيفي باشا عن « الأسول العلمية الحديثة وتطبيقها على الزراعة » ، وقد عرض فيها لأهم ما يشغل الأسواق المصرية في هذا الوقت ، وهو نظام الحاصلات والأسواق الداخلية ، فأبان كل البيان عن وجه المصلحة التي يجب أن يقصدها القائمون على أمر الشؤون الزراعية في هذه الأوقات العصيبة المنذرة بأشد الأزمات على الأسواق التجارية . ثم تبع ذلك بحث في أهم ما يخاف منه وما تخشى عواقبه في أزمان الحرب ، وهو تفشي الأمراض والأوبئة ، وما يجب على الشعب المصري وحكومته أن تعمل على تفاديه بكل سبيل . فألقى الدكتور عبد الواحد الوكيل : « حاجة البلاد إلى تعديل خططها الطبية والصحية » ، وقد أباث هذه المحاضرة عن هول الحالة الصحية التي تخفت في كل ناحية من نواحي هذا الشعب المهمل المسكين

#### آلهة الكعبة

كنت قرأت في البريد الأدبي من عدد الرسالة ٣٥٠ كلمة للأخ محمد صبري في قصيدته الأخ للشاعر محمود حسن إسماعيل ، ينكر فيها أن « الثلاث ، والزمى ، ومناة » من آلهة الكعبة ، قال : « وليس واحد من هذه الثلاثة من أصنام الكعبة ، بل لم يكن واحد منها داخل الكعبة ولا حولها » . ثم استشهد قول ابن الكلبي في كتاب الأصنام ، حين ذكر مواضع هذه الاوثان الثلاثة . وقد كان اعترض بعض أصحابنا قبل ذلك — في مجلس الأستاذ الزيات — بمثل ما اعترض به الأخ صبري ، فرُمت أن أقول : إن وجود هذه الثلاثة في الكعبة أو حولها ليس يمتنع . وذلك لأن ابن سعد ذكر في طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت — بعد فتح مكة — وهو على راحلته ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل كل من صنم منها يشير إليه بقصيب في يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً » . فيقع الصنم لوجهه . وابن الكلبي لم يعد لنا في كتابه الأصنام غير أسماء ثلاثين صنماً ، وزاد زكي باشا عليها خمسة وأربعين صنماً ، فهذه خمسة وسبعون ، فأين هي من ثلاثمائة وستين ؟ . . . وما كانت كل هذه الأمة من الأصنام إذن — إن لم يكن منها ثلاث والزمى ومناة ، وهي أشهر أصنام الجاهلية ، وهي المذكورة في القرآن في سورة النجم ، وقد كان نزولها بمكة ؛ وما أظنها تذكر بأسمائها إلا وكفار قريش يعظمونها

تقع في عشرة مجلدات ، كلها مباحث علمية عظيمة مكتوبة باللغة العربية مع قلة الاصطلاحات المرية للعلمية التي تؤدي المعاني العلمية الجديدة التي لم تندر لها بعد مصطلحات ثابتة في مادة هذه العلوم وهذا الجمع العلمي العظيم لا يلقى — مع الأسف — ما هو حقيق به من اخفاوة والاحتفال في الأوساط الأدبية والعلمية التي توجب عليها مهمتها الشاقة إحصاء النصيحة للأمة العربية ، بتشجيع القائمين بأعمالهم الجيدة في صمت وسكون ورفق . ومن أعجب العجب أن تمقد المحاضرات والمناظرات الكثيرة التي تتمتع أكثر ما تتمتع على الترتبة ومضغ الأحاديث والنمط بمبدول الكلام ، وتجتمع لهذه المحاضرات والمناظرات فئات كثيرة من طبقات الناس : وفي صدرهم كثير من أصحاب الأسماء وعظام الأمة ثم يعقد هذا الجمع مؤتمره مرة في كل عام — فلا يلقى من هذه الفئات ولا من هؤلاء المظالم ما هو أهل له من المتابعة والاهتمام أو الجمالة إن شئت

وكان للظن أن تعمل وزارة المعارف والجاسمة وسائر المآهد والوزارات التي يتناول الجمع — بعض ما يخصها أو يقع في حدود أعمالها — بالبحث والدرس والتحقق والكشف : كان للظن أن تمهد هذه له سبيل إبلاغ صوته إلى أكبر عدد ممكن من المثقفين ، تشجيعاً له وللقائمين عليه ، وطلباً للمنفعة التي تأتي من إهارة اهتمام هذه الجماهير بنتائج الأبحاث العلمية وأنواعها ، وضروبها المختلفة التي يقوم الجمع وأعضاؤه على إعدادها ومتابعتها والعمل على نشرها ، لتكون سبباً من أسباب اليقظة العلمية التي تقتضيها النهضة الحديثة في الشعوب العربية

وقد جمعت مرة مجلس فيه فئدة من كبار الأساتذة في بعض المآهد العلمية للمالية ، فلم أجد عند أحد منه خبراً يمله عن هذا الجمع ، فما ظنك بممله أو إنتاجه أو غايته التي أريد لها إنشاؤه وتأسيسه ؟ وهذا أمر يؤسف له ، ويوجب على الجمع وعلى كل ذي رأى أن يعمل على تنبيه الوزراء والمآهد إلى قيمة هذا العمل الذي يقوم عليه الجمع ، وإلى توجيه أنظار الناس إليه بكل سبيل ، حتى يستطيع أن يؤدي إلى الناس ما يرغب فيه من نشر الثقافة العلمية التي يحتاج إليها هذا الشعب في كل أغراضه وأعماله ، وفي بث الروح العلمية التي تكفل له القيام بالسبب المنقل الذي يريد أن ينهض به في بناء الحضارة الجديدة التي يتهاى الشرق لورائتها عن الحضارات التي هي في سبيل إلى الهلكة والتدمير والبوار